القوانين الفقهية

لابن جزي

القوانين الفقهية

ترجمة المؤلف

هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي من ذوي الاصالة والوجاهة والنباهة والعدالة الإمام الحافظ العمدة المتفنن اخذ عن ابن الزبير ولازم ابن رشد وابا المجد بن ابي الأحوط والقاضي ابن برطال وابا القاسم بن الشاطه وانتفع به وابن الكماد والولي الطنجالي وغيرهم . ومنه ابناؤه محمد وابو بكر أحمد وعبد الله وامان الدين بن الخطيب وابراهيم الخزرجي وغيرهم . الف في فنون من العلم منها وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم . والاقوال السنية في الكلمات السنية . والدعوات والاذكار المخرجة من صحيح الاخبار . والقوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية . وتقريب الوصول الى علم الاصول . والنور المبين في قواعد عقائد الدين ، والمختصر البارع ، في قراءة نافع ، واصول القراء الستة غير نافع . والفوائد العامة في لحن العامة . وغير ذلك مما قيده من التفسير والقراءة وفهرسة كبيرة اشتملت على كثير من اهل المشرق والمغرب . توفي شهيدا في واقعة طريف سنة ٧٤١ وكان مولده سنة ٦٩٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال عبد الله خديم الكتاب والسنة : محمد بن أحمد ابن محمد بن جزي الكلبي تاب الله عليه آمين

الحمد لله ذي الجلال الذي عجزت عن ادراك كنهه عقول العارفين ، والكمال الذي قصرت عن احصاء ثنائه السنة الواصفين ، والقدرة التي وجلت من رهبتها قلوب الخائفين ، والعظمة التي عنت لعزتها وجوه الطائعين والعاكفين ، والعلم الذي احاط بما فوق العرش الى اطباق الثرى ، والحكمة التي ظهر اثرها في كل ما نشأ وبرأ وذرأ مما نرى ومما لا نرى والرحمة الواسعة التي شملت اكنافها في جميع الورى ، والنعمة السابغة ، والحجة البالغة ، والسطوة الدامغة ، لمن كذب وافترى . سبحانه من مليك لم يخلق عباده عبثا ولم يتركهم سدى ، بل أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ، وداعين الى الحق والهدى . ونهى وأمر وحذر وبشر ووعد من اهتدى ، وأوعد من اعتدى . ثم ختم الرسالة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم صاحب الدعوة التامة ، والرسالة العامة ، الى الانس والجان ، والملة الناسخة لجميع الاديان ، والشريعة الباقية الى آخر الزمان . والآيات البينات والأدلة القاطعة الساطعة البرهان ، وانزل عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وجعله معجزة ظاهرة للعيان ، متجددة ما اختلف الملوان وتعاقب الازمان. فما قبضه الله اليه حتى أكمل به الدين ، وأوضح السبيل المستبين ، وأقامه حجة الله على الخلق أجمعين ، وظهر في الوجود مصداق قوله تعالى «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين» فصلى الله عليه وسلم ، وتبارك وترحم ، وشرف وكرم ، وعلى آله الطاهرين وأصحابه الاكرمين (أما بعد) فهذا كتاب في

قوانين الاحكام الشرعية ، ومسائل الفروع الفقهية ، على مذهب إمام المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس الاصبحي رضي الله عنه اذ هو الذي اختاره اهل بلادنا بالاندلس وسائر المغرب اقتداء بدار الهجرة وتوفيقا من الله تعالى وتصديقا لقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم (لا يزال اهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة) ثم زدنا الى ذلك التنبيه على كثير من الاتفاق والاختلاف الذي بين الامام المسمى وبين الامام ابي عبد الله احمد بن ادريس الشافعي والامام ابي حنيفة النعمان ابن ثابت والامام ابي عبد الله بن حنبل لتكمل بذلك الفائدة ويعظم الانتفاع ، فان هؤلاء الاربعة هم قدوة المسلمين في اقطار الارض واولو الاتباع والاشياع . وربما نبهت على مذهب غيرهم من ائمة المسلمين كسفيان الثوري ، والحسن البصري ، وعبد الله بن المبارك ، واسحاق بن راهوية ، وابي ثور والنخعي، وداوود بن علي إمام الظاهرية ـ وقد اكثرنا من نقل مذهبه ـ والليث بن سعد ، وسعيد بن المسيب ، والاوزاعي وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين ، فان كل واحد منهم مجتهد في دين الله ومذاهبهم طرق موصلة الى الله . واعلم ان هذا الكتاب ينيف على سائر الكتب بثلاث فوائد (الفائدة الاولى) انه جمع بين تمهيد المذهب وذكر الخلاف العالي بخلاف غيره من الكتب فانها في المذهب خاصة او في الخلاف العالي خاصة (الفائدة الثانية) إنا لمحناه بحسن التقسيم والترتيب، وسهلناه بالتهذيب والتقريب ، فكم فيه من تقسيم قسيم وتفصيل اصيل يقرب البعيد ويلين الشريد (الفائدة الثالثة) إنا قصدنا اليه الجمع بين الايجاز والبيان ، على انهما قلّما يجتمعان ، فجاء بعون الله سهل العبارة ، لطيف الاشارة ، تام المعاني مختصر الالفاظ حقيقا بأن يلهج به الحفاظ ، والى الله نرغب في ان يجعله موجبا لغفرانه وموصلا لرضوانه، وفاتحا لخزائن احسانه وامتنانه ؛ انه ذو فضل عظيم.

بيان اصطلاح الكتاب

اذا تكلمنا في مسألة قيدنا اولا بمذهب مالك ثم نتبعه بمذهب غيره إما نصا وتصريحا وإما اشارة وتلويحا واذا سكتنا عن حكاية الخلاف في مسألة فذلك مؤذن في الاكثر بعدم الخلاف فيها . واذا ذكرنا الاجماع والاتفاق فنعني اجماع الامة . واذا ذكرنا الجمهور فنعني اتفاق العلماء الا من شذ قوله . واذا ذكرنا الاربعة فنعني مالكا والشافعي وأبا حنيفة وابن حنبل وفي ذلك إشعار بمخالفة بعض العلماء لهم وربما صرحنا بذلك . واذا قلنا قال قوم او خلافا لقوم فنعني خارج المذاهب الاربعة ، واذا ذكرنا الثلاثة فنعني مالكا والشافعي وأبا حنيفة وفي ذلك إشعار بمخالفة احمد بن حنبل لهم او انه لم ينقل له مذهب في تلك المسألة . واذا ذكرنا الإمامين فنعني مالكا والشافعي واذا ذكرنا ضمير الاثنين كقولنا عندهما او خلافا لهما فنعني الشافعي وأبا حنيفة . واذا ذكرنا ضمير الجماعة فقلنا عندهم او خلافا لهم وشبه ذلك فنعني الشافعي وأبا حنيفة وابن حنبل واذا قلنا المذهب فنعني مذهب مالك وفي ذلك إشعار بمخالفة غيره . واذا قلنا المشهور فنعني مشهور مذهب مالك وفي ذلك اشعار بخلاف في المذهب . واذا قلنا قيل كذا او اختلف في كذا او في كذا قولان فأكثر فنعني في المذهب . واذا قلنا روايتان فنعني عن مالك واكثر ما نقدم القول المشهور .

بيان ترتيب الكتاب :

اعلم انني افتتحته بعقيدة سنية وجيزة تقديما للأهم فلا جرم ان الاصول أهم من الفروع ، ومن الحق تأخير التابع وتقديم المتبوع . ثم قسمت الفقه الى قسمين احدهما في العبادات والآخر في المعاملات وضمنت كل قسم عشرة كتب على مائة باب فانحصر الفقه في عشرين كتابا ومائتي باب (القسم الاول) فيه من الكتب : كتاب الطهارة ، كتاب الصلاة ، كتاب الجنائز ، كتاب الزكاة ، كتاب الصيام والاعتكاف،كتاب الحج، كتاب الجهاد، كتاب الايمان والنذور، كتاب الاطعمة والاشربة والصيد والذبائح، كتاب الضحايا والعقيقة والختان (القسم الثاني) فيه من الكتب : كتاب النكاح ، كتاب الطلاق وما يتصل به، كتاب البيوع ، كتاب العقود

المشاكلة للبيوع ، كتاب الاقضية والشهادات ، كتاب الابواب المتعلقة بالاقضية ، كتاب الدماء والحدود ، كتاب الهبات وما يجانسها ، كتاب العتق وما يتعلق به ، كتاب الفرائض والوصايا ، (ثم ختمته) بكتاب الجامع وهو يحتوي على عشرين بابا . وانما انحصرت الكتب والابواب في هذا العدد لانني ضممت كل شكل الى شكله والحقت كل فرع بأصله وربما جمعت في ترجمة واحدة ما يفرقه الناس في تراجم كثيرة رعيا للمقاربة والمشاكلةورغبة في الاختصار . والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . (الفاتحة) فيما يجب في الاعتقادات من أصول الديانات . ويشتمل على عشرة ابواب : خمسة الإلهيات، وخمسة في السمعيات.

الباب الاول

في وجود الباري جل جلاله وعز نواله

اعلم ان العالم العلوي والسفلي كله محدث بعد العدم شاهد على نفسه بالحدوث ولخالقه بالقدم ، وذلك لما يبدو عليه من تغيير الصفات وتعاقب الحركات والسكنات وغير ذلك من الامور الطارئات . وكل محدث فلا بد له من محدث اوجده وخالق خلقه اذ لا بد لكل فعل من فاعل فجميع الموجودات من الارض والسماوات والحيوانات والجمادات من الجبال والبحار والانهار والاشجار والثمار والازهار والرياح والسحاب والامطار والشمس والقمر والنجوم واختلاف الليل والنهار وكل صغير وكبير فيه آثار الصنعة ولطائف الحكمة والتدبير ، ففي كل شيء دليل قاطع وبرهان ساطع على وجود الصانع وهو الله رب العالمين وخالق الخلق اجمعين ، الملك الحق المبين الذي احتجب عن الابصار بكبريائه وعلو شانه وظهر للبصائر بقوة سلطانه ووضوح برهانه . فما اعظم برهان الله وما اكثر الدلائل على الله «أفي الله شك فاطر السموات والارض» وحسبك الفطرة التي فطر الناس عليها وما يوجد في النفوس ضرورة من افتقار العبودية ومعرفة الربوبيّة «ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله» .

الباب الثاني

في صفات الله تعالى عز شانه وبهر سلطانه

جرت عادة المتكلمين بإثبات سبع صفات وهي: الحياة ، والقدرة ، والارادة، والعلم ، والسمع ، والبصر ، والكلام (فأما الحياة) فان الله هو الاول القديم الذي لم يزل في ازل الازل قبل وجود الازمان ولم يكن معه شيء غيره وهو الان على ما عليه كان ، وانه الحي الباقي «الآخر» الذي لا يموت وكل من عليها فان. (وأما القدرة) فانه قدير على كل شيء لا يعجزه شيء ولا يصعب عليه شيء وبيده

ملكوت كل شيء . الا ترى اثر قدرته في اختراع الموجـــودات وامساك الارض والسماوات ونفوذ أمره في التصرف في المخلوقات ففي كل يوم يميت ويحيي ويخلق ويفني ويفقر ويغني ويهدي ويضل ويعز ويذل ويعطي ويمنع ويخفض ويرفـــع ويسعد ويشقي ويعافي ويبتلي «انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون». (وأما الادارة) فانه سبحانه المريد لجميع الكائنات المدبر للحادثات المقدورات الفعال لما يريد فكل نفع وضر وحلو ومر وكفر وايمان وطاعة وعصيان وزيـــادة ونقصان وربح وخسران فبإرادته القديمة وقضائه وقدره ومشيئته الحكيمة لاراد لامره ولا معقب لحكمه ولا اعتراض عليه في فعله «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون» كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل اقتضى ذلك ملكه وحكمته فالمالك يفعل ما يشاء في ملكه والملك يحكم بما اراد على مماليكه والحكيم اعلم بما تقتضيه حكمته «والله يعلم وانتم لا تعلمون» قدر أرزاق الخلق وآجالهم وأعمالهم وشقاوتهـــم وسعادتهم «كل في كتاب مبين» خلق قوما للجنة فيسرهم لليسرى وبعمل اهـــل الجنة يعملون ، وخلق قوما للنار فيسرهم للعسرى وبعمل اهل النار يعملون «وما ربك بظلام للعبيد» (وأما العلم) فانه تبارك وتعالى اسمه عالم بجميع المعلومـــات محيط بما تحت الارض السفلى الى ما فوق السماوات احاط بكل شيء علمـــا واحصى كل شيء عددا وعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون وهو حاضر بعلمه في كل مكان ورقيب على كل انسان «يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون» قد استوى عنده الظاهر والباطن واطلع على مخبآت السرائر ومكنونات الضمائر حتى انه يعلم ما يهجس في نفوس الحيتان في قعور البحار «انه عليـــم بذات الصدور». (وأما السمع والبصر) فانه تعالى سميع بصير لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي ولا يغيب عن رؤيته مرأى وان دق «يعلم السر واخفى» حتـــى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء «لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء» وما احسن تعقيب هذا ببرهان «هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء» . (وأما الكلام) فانه جل وعز متكلم بصفة ازلية ليس بحرف ولا صوت ولا يقبل العدم ولا ما في معناه من السكوت ولا التبعيض ولا التقديم ولا التأخير الذي لا يشبه كلام المخلوقين كما لا تشبه ذاته ذوات المخلوقين لا تنفد كلماته كما لا تحصى معلوماته ولا تنحصر مقدوراته «قل لو كـــان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا». والدليل على ثبوت هذه الصفات ثلاثة أوجه (الوجه الاول) انها صفات كمال فوجب وصف الله بها ، واضدادها صفات نقص فوجب تنزيهه عنها «ولله المثل الاعلى» (الوجه الثاني) انها تدل عليها آثار حكمته فان اتقان الصنعة دليل على حياة الصانع وقدرته وعلمه وسائر صفاته (الوجه الثالث) ما ورد من النصوص الصريحة فـي القرآن والاخبار الصحيحة .

الباب الثالث

في أسماء الله تعالى الحسنى

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة) وقد وردت معدودة معينة في حديث اخرجه الترمذي من طريق ابي هريرة رضي الله عنه . واختلف الناس في تلك الاسماء المعينة فيه هل هي فيه مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم كاصل الحديث او هي موقوفة على أبـــي هريرة لان لله تعالى اسماء زائدة على تلك المعينة ، منها ما ورد في القـــرآن والحديث ومنها ما هي اسماء مشتقة من افعاله . واعلم ان اسماء الله وصفاته تنقسم على الجملة الى ثلاثة اقسام منها ما يرجع الى الذات والى صفات الذات والى صفات الفعل وتنقسم على التفصيل بالنظر الى معانيها عشرة اقسام (الاول) اسم يدل على الذات وهو قولنا (الله) وقد قيل انه اسم الله الاعظم (الثاني) اسماء تدل على الوحدانية كإسمه الواحد والصمد والوتر (الثالث) أسماء تدل على الحياة كالحي والاول والآخر (الرابع) اسماء تدل على اختراع المخلوقات وذلك أخص صفات الربوبية كالخالق والباري والفاطر (الخامس) أسماء تدل على القدرة كالقديـــر والمنتقم والقهار (السادس) أسماء تدل على الارادة كالمريد والفعال لما يريد والقابض والباسط (السابع) أسماء تدل على الادراك كالعليم والسميع والبصير (الثامـــن) اسماء تدل على العظمة والجلال كالعظيم والكبير والعلي (التاسع) أسماء تدل على الملك والتملك كالملك والمالك والغني (العاشر) أسماء تدل على الرحمة كالرحمـــن الرحيم والغفار والتواب والوهاب .

الباب الرابع

في توحيد الله تعالى

وهو محصول قولنا «لا إله الا الله» وهو ان تؤمن بأنه إله واحد احد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولا يشاركه في حكمه احد ، ليس له فـــي ربوبيته شريك ولا نظير وليس له فـــي ملكه ضـــد ولا ند ولا منازع ولا ظهير . والبرهان الواضح على الوحدانية معقول اربع آيات (الاولى) قوله تعالى «لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا» ومنه اخذ المتكلمون دليل التمانع الا ان القرآن افصح واوضح (والثانية) قوله تعالى «قل لو كان معه آلهة كما تقولون اذاً لابتغوا الى ذي العرش سبيلا» فان عدم النزاع دليل على عدم المنازع (والثالثة) قوله تعالى «مـــا اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض» فكون الوجود كله مرتبطا بعضه ببعض دليل على ان مالكه واحد (والرابعة) معقول قوله تعالى «واتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون» فان

من صفات الإله كونه خالقا ولا خالق الا الله فلا إله الا الله ، وغيره مخلوق ، والمخلوق لا يكون شريكا لخالقه «أفمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون» .

تكميل: الطوائف المخالفة في التوحيد النصارى والمجوس والصابئة والمنجمون والطبائعيون . فاما النصارى فكفروا بأقوالهم الفاسدة ومذاهبهم الضالة في عيسى وامه عليهما السلام وابلغ الرد عليهم مضمون خمس آيات (الاولى) قوله «كانا يأكلان الطعام» فذلك صفة الحدوث والعبودية لا صفة الربوبية (الثانية) قوله «ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم» اي من قدر على خلق الانسان من غير أم ولا ولد قادر على خلق آخر بأم دون والد (الثالثة) قوله «قولوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني» فان الغني المطلق لا يحتاج الى زوجة ولا ولد ولا الى احد (الرابعة) قوله «وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السماوات والارض الا آتي الرحمن عبدا» فان الربوبية والعبودية لا يجتمعان (الخامسة) قول عيسى عليه السلام «اني عبد الله» وقوله «يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم» فاعترافه على نفسه بالعبودية بيان كذب من وصفه بالربوبية . واما المجوس فكفروا بعبادة النور والرد عليهم قوله «وجعل الظلمات والنور» فان المحدث المخلوق لا يكون إلها . واما الصابئة فكفروا بعبادة الملائكة ونسبتهم الى الله والرد عليهم قوله «بل عباد مكرمون» واما المنجمون فاثبتوا للكواكب تاثيرا في الوجود والرد عليهم قوله «والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره» والمسخر مملوك مقهور ، وقوله «لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن» فكيف يشارك مخلوق خالقه . واما الطبائعيون فنسبوا الافعال للطبيعة والرد عليهم قوله «ثمرات مختلفة ألوانها» وقوله «تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل» فان اختلاف الاشكال والالوان والروائح والطعوم والمنافع والمضار دليل على الفاعل المختار .

اشارة صوفية : التوحيد نوعان عام وخاص فالعام عدم الاشراك الجلي وهو مقام الايمان الحاصل لجميع المؤمنين والخاص عدم الاشراك الخفي وهو مقام الاحسان وهو خاص بالأولياء العارفين رضي الله عنهم أجمعين .

الباب الخامس

في تنزيه الله تعالى

وهو معنى قولنا سبحان الله وذلك أن تؤمن بأنه ليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء تعالى أن يكون له شبيه او مثيل او عديل او نظير او قرين وانه لا يفتقر الى شيء وان كل شيء اليه فقير وانه لا يليق به نقص ولا عيب بل تقدس عن كل نقص وتبرأ من جميع العيوب وانه لا تأخذه سنة ولا نوم ولا تلحقه آفة ولا يصيبه عجز ولا نصب ولا لغوب ، وانه لا تنفعه طاعة العباد ولا تضره الذنوب وانه لا يموت ولا يفنى ولا يضل ولا ينسى ولا يكون في

ملكه الا ما يشاء فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وانه لا يظلم احدا وانه لا تنقص خزائنه ولا يبيد ما عنده ابدا .

(تنبيه) : ورد في القرآن والحديث الفاظ يوهم ظاهرها التشبيه كقوله تعالى «على العرش استوى» و «يداه مبسوطتان» وكحديث نزول الله كل ليلة الى سماء الدنيا وغير ذلك وهي كثيرة تفرق الناس فيها ثلاث فرق (الفرقة الاولى) السلف الصالح من الصحابة والتابعين وائمة المسلمين آمنوا بها ولم يبحثوا عن معانيها ولا تاولوها بل انكروا علىمن تكلم فيها «والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا» وهذه طريقة التسليم التي تعود الى السلامة وبها اخذ مالك والشافعي واكثر المحدثين (الفرقة الثانية) قوم حملوها على ظاهرها فلزمهم التجسيم ويعزى ذلك الى الحنبلية وبعض المحدثين (الفرقة الثالثة) قوم تأولوها واخرجوها على ظاهرها الى ما يقتضيه ادلة العقول وهم اكثر المتكلمين والله اعلم.

الباب السادس

في الايمان بملائكة الله وكتبه ورسله

اعلم ان (الملائكة) عباد الله مكرمون عنده يعبدونه ويسبحونه ويطيعونه ولا يعصونه ولا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون فمنهم حملة العرش وسكان السماوات وحفظة على بني آدم وموكلون بالامطار والنبات والنطف والارحام والتماس مجالس الذكر ولا يحيط بعددهم الا الله وان الله بعث الانبياء وارسل الرسل مبشرين ومنذرين ومنهم من سماه الله في القرآن ومنهم من لم يسمه واولهم آدم ابو البشر وآخرهم سيدهم (محمد) صلى الله عليه وسلم النبي الأمي خاتم النبيئين وان الله انزل عليه جبريل الامين بالقرآن المبين كما انزل التوراة على موسى وانزل الانجيل على عيسى وانزل الزبور على داوود وانزل صحفا على غيرهم من الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين فقال تعالى «قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيئون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون» وان الله اوجب على جميع الامم بالدخول في دين الاسلام» ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» وان الله آتي كل نبي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر . ولما كانت رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم اعم وشريعته ناسخة لما تقدم اقتضى ذلك ان تكون براهينه اظهر وآياته ابهر ودلائل صدقه اكبر واكثر مبالغة في اقامة الحجة وايضاحا لسلوك المحجة فلقد ايده الله بأنواع من الآيات الباهرة والعلامات الظاهرة فيها عبرة لاولي الالباب . وما احواله واقواله وافعاله الا العجب العجاب . ولقد احصى له علماؤنا رضوان الله عليهم الف معجزة وهي ترجع الى خمسة انواع (احدها) القرآن العظيم الذي اعجز الانس والجن على الاتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وتضمن من العلوم الالهية والحكم

الربانية والاسرار التي كانت محجوبة عنها عقول البرية ما يدل قطعا على انه تنزيل من الرحمن الرحيم (والثاني) ما ظهر على يديه صلى الله عليه وسلم من المعجزات الخوارق للعادات وهي كثيرة جدا (والثالث) ما سبق قبله من الاعلام به والمبشرات (الرابع) ما ظهر لسائر امته من الكرامات فانها دليل على صحة دينهم وصدق متبوعهم صلى الله عليه وسلم وانظر ظهور دينه في المشارق والمغارب وحفظه من التغيير والتبديل منذ ازيد من سبعمائة عام يظهر لك ان ذلك بأمر سماوي واعتقاد رباني (والخامس) ما وهبه الله من الاخلاق العظيمة والشمائل الكريمة التي لا يجمعها الله الا لاحب عباده اليه واكرمهم عليه وحسبك قوله سبحانه «وانك لعلى خلق عظيم» واعلم ان معجزاته صلى الله عليه وسلم بالنظر الى نقلها تنقسم ثلاثة اقسام (الاول) ما نقطع بصحته فتقوم به الحجة وان كان واحدا على انفراده كالقرآن العظيم وكانشقاق القمر لوروده في القرآن وكنبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وتكثير الطعام القليل لاشتهار ذلك وانتشاره وعدول رواته ووقوعه في مشاهد عظيمة ومحافل كثيرة (الثاني) ما نقطع بصحة نوعه لكثرة وقوعه وان لم نقطع بصحة آحاده كالاخبار بالغيوب واجابة الدعوات فان ذلك كثر منه صلى الله عليه وسلم حتى صار مجموعة مقطوعا به (الثالث) ما نقل نوعه واشخاصه نقل الآحاد ولكن اذا جمع الى غيره افاد القطع بوقوع المعجزات.

الباب السابع

في الايمان بالدار الآخرة
وتشتمل على اثنتي عشرة مسألة

(المسألة الاولى) الايمان بالبرزخ وعذاب من شاء الله في القبور وذلك من القرآن قوله «برزخ الى يوم يبعثون» وقوله «النار يعرضون عليها غدوا وعشيًا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب» فذلك دليل على عذاب قبل يوم القيامة ومن السنة اخبار صحيحة (المسألة الثانية) سؤال الملكين وقد وردت به الاحاديث الصحاح واليه الاشارة بقوله «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة» (المسألة الثالثة) قيام الخلق من قبورهم وحشرهم الى الحساب والثواب والعقاب فدليل جوازه قدرة الله عز وجل عليه «وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه» «ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة» ودليل وقوعه ورود الشرائع ونطق الرسل والكتب به ولاسيما شريعتنا ، فقد ابلغت في النذارة والبشارة لتقوم الحجة على العالمين . ثم ان الحكمة تقتضي مجازاة المحسن باحسانه والمسيء باساءته «ليجزي الله كل نفس ما كسبت» وانما يظهر ذلك في الدار الآخرة لا في الدنيا ، ولولا الجزاء الاخروي لاستوى المؤمن والكافر والمطيع والعاصي «أفنجعل المسلمين كالمجرمين» (المسألة الرابعة) الحساب على الاعمال وقد نطق به الكتاب والسنة (المسألة الخامسة) القصاص بين العباد

وقد نطق به ايضا الكتاب والسنة (المسألة السادسة) وزن الاعمال وقد نطق بـــه ايضا الكتاب والسنّة (المسألة السابعة) اعطاء الكتاب إما باليمين وإما بالشمال وقد ورد ايضا في الكتاب والسنة (المسألةالثامنة) جواز الناس على الصراط وهو جسر ممدود على جهنم والناس متفاوتون في سرعة الجواز على قدر أعمالهم ومنهم من يكب في نار جهنم دليله من القرآن قوله «فاهدوهم الى صراط الجحيم» ومـــن السنّة أحاديث صحاح (المسألة التاسعة) حوض النبي صلى الله عليه وسلم ترده امته لا يظمأ من شرب منه ابدا ويذاد عنه من بدل او غير ودليله من القرآن قوله «إنا أعطيناك الكوثر» وقد جاء تفسيره بالحوض في الحديث الصحيح ومن السنّة احاديث صحيحة كثيرة (المسألة العاشرة) شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم فـي امته ودليلها من القرآن قوله «عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا» ومن السنّـة احاديث صحيحة . والشفاعة في خمسة مواطن (أحدها) في إراحة الناس مـن الموقف وتعجيل الفصل وهي مختصة بنبينا صلى الله عليه وسلم (الثانية) في انقاذ من وجبت عليه النار (الثالثة) في اخراج من دخل النار من المذنبين (الرابعة) في تعجيل دخول الجنة (الخامسة) في رفعة الدرجات في الجنة (الحادية عشرة) في دخول النار ويدخلها صنفان (الصنف الاول) الكفار كلهم ويعذبون بأنواع العـذاب وبعضهم اشد عذابا من بعض وهم فيها خالدون «لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون» (الصنف الثاني) من شاء الله من عصاة المؤمنين ثم يخرجون منها برحمة الله تعالى وشفاعة الانبياء والملائكة والشهداء الصالحين وسائر المؤمنين .

تحقيق :

انما يدخل من المؤمنين النار من اجتمعت فيه سبعـة أوصاف (احدها) ان تكون له ذنوب تحرزا من المتقين (الثاني) أن يموت غير تائب من ذنوبه فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له (الثالث) ان تكون ذنوبه كبائر فان الصغائر تغفـــر باجتناب الكبائر (الرابع) ان لا تثقل حسناته فلو رجحت على سيآته ولو بوزن ذرة نجا من النار (الخامس) ان لا يكون ممن له النجاة بعمل سابق كأهل بدر وبيعـة الرضوان (السادس) أن لا يشفع فيه احد (السابع) أن لا يغفر له الله (الثانيـة عشرة) دخول الجنة ولا يدخلها الا المؤمنون وينعمون فيها بأنواع النعيم وينظرون الى وجه الله الكريم بدليل قوله تعالى «وجوه يومئـــذ ناضرة الى ربها ناظرة» وأحاديث صحيحة صريحة وهم فيها خالدون جعلنا الله منهم بفضله ورحمته .

الباب الثامن

في الإمامة وفيه مسألتان

(المسألة الاولى) في إثبات إمامة الخلفاء الاربعة رضي الله عنهم والدليل على

إمامة جميعهم من ثلاثة أوجه (أحدها) ان كل واحد منهم جمع شروط الامامة على الكمال (والآخر) ان كل واحد منهم اجمع المسلمون في زمانه على بيعته والدخول تحت طاعته ، والاجماع حجة (والثالث) ما سبق لكل واحد منهم من الصحبة والهجرة والمناقب الجليلة وثناء الله عليهم وشهادة الصادق صلى الله عليه وسلم لهم بالجنة ثم ان ابا بكر وعمر اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خلافتهما وامر بالاقتداء بهما وقدم ابا بكر على حجة الوداع وعلى الصلاة بالناس في مرض موته وذلك دليل على استخلافه . ثم استخلف أبو بكر عمر ثم جعل عمر الامر شورى بين ستة واتفقوا على تقديم عثمان الى ان قتل مظلوما بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ووعده له بالجنة على ذلك ثم كان احق الناس بها بعده علي لرتبته الشريفة وفضائله المنيفة واما ما شجر بين علي ومعاوية ومن كان مع كل منهما من الصحابة فالاولى الامساك عن ذكره وان يذكروا بأحسن الذكر ويلتمس لهم احسن التاويل فان الامر كان في محل الاجتهاد . فأما علي ومن كان معه فكانوا على الحق لانهم اجتهدوا فاصابوا فهم مأجورون واما معاوية ومن كان معه فاجتهدوا فأخطأوا فهم معذورون وينبغي توقيرهم وتوقير سائر الصحابة ومحبتهم لما ورد في القرآن من الثناء عليهم ولصحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال صلى الله عليه وسلم (الله الله في اصحابي لا تجعلوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله) (المسألة الثانية) في شروط الإمامة وهي ثمانية : الاسلام ، والبلوغ ، والعقل ، والذكورة ، والعدول ، والعلم ، والكفاءة . وان يكون نسبه من قريش وفي هذا خلاف فان اجتمع الناس على من لم تجتمع الشروط فيه جاز خوفا من ايقاع الفتنة ، ولا يجوز الخروج على الولاة وان جاروا حتى يظهر منهم الكفر الصراح وتجب طاعتهم فيما احب الانسان وكره الا ان أمروا بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

الباب التاسع

في الايمان والاسلام وفيه مسالتان

(المسألة الاولى) في معناهما أما الاسلام فمعناه في اللغة الانقياد مطلقا ومعناه في الشريعة الانقياد لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم بالنطق باللسان والعمل بالجوارح . واما الايمان فمعناه في اللغة التصديق مطلقا ومعناه في الشريعة التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فالاسلام والايمان على هذا متباينان . وعلى ذلك قوله تعالى «قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا» وقد يستعملان مترادفين كقوله «فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين» وقد يستعملان متداخلين بالعموم والخصوص فيكون الاسلام أعم اذا كان الانقياد باللسان والقلب والجوارح لان الايمان خاص

بالقلب ، ويكون الايمان أعم اذا قلنا انه قول اللسان واخلاص بالقلب وعمل بالجوارح وهو قول كثير من السلف . واذا قلنا ان الاسلام باللسان والجوارح خاصة (المسألة الثانية) في أحكامهما وفي ذلك اربع صور (الاولى) ان يجمع بينهما وهو ان يكون العبد مؤمنا بقلبه منقادا بجوارحه فهذا مخلص عند الله (الثانية) عكسهما وهو ان يعدم الوصفين فهذا كافر مخلد في النار (الثالثة) الانقياد بالجوارح دون الايمان بالقلب فهذا مخلد في النار وهو الذي كان يسمى في زمن النبوءة منافقا وسمي بعد ذلك زنديقا (الرابعة) عكسها وهي الايمان بالقلب دون النطق والعمل فاذا كان ذلك لاكراه ولضيق الوقت كمن اسلم ثم مات بأثر ذلك قبل ان يسعه نطق ولا عمل فهو معذور مخلص عند الله وان كان لغير ذلك فاختلف فيه .

الباب العاشر

في الاعتصام بالسنّة وفيه مسألتان

(المسألة الاولى) في ترك البدع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي) وقال صلى الله عليه وسلم (أصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم) وحض على الاقتداء بالخلفاء الراشدين فالخير كله في التمسك بالكتاب والسنّة والاقتداء بالسلف الصالح وتجنب كل محدث وبدعة . وقد كان المتقدمون يذمون البدع على الاطلاق . وقال المتأخرون انها خمسة اقسام واجبة كتدوين العلم . ومندوبة كصلاة التراويح . وحرام كالمكوس وغيرها . ومكروه كتخصيص بعض الايام ببعض العبادات. ومباح كمثل ما أحدثه الناس من المطاعم والملابس . فقد قالت عائشة رضي الله عنها لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مناخل . (المسألة الثانية) في النظر والتقليد وذلك ان الاعتقاد يحصل إما بالنظر وإما بالتقليد . فأمّا التقليد فاختلف العلماء فيه فمذهب المتكلمين انه لا يجوز ولا يجزئ . وقال اكثر المحدثين انه جائز يخلص عند الله وهو الصحيح لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قنع من الناس بحصول الايمان بأي وجه حصل من تقليد او نظر ، ولو اوجب عليهم الاستدلال او النظر لعسر الدخول في الدين على كثير من الناس كأهل البوادي وغيرهم وانما النظر والاستدلال شأن ذوي العقول الراجحة والاذهان الثابتة وفيه تتفاوت درجات العلماء وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ثم ان خير الاستدلال ما كان على طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وائمة المسلمين وهو الاستدلال بكتاب الله وتدبر آياته والاعتبار في بديع مخلوقاته وعجائب مصنوعاته والاقتداء بأخبار المصطفى صلى الله عليه وسلم وجميل سيرته وباهر علاماته ثم اخلاص المحبة له ولاهل بيته الطاهرين وازواجه وامهات المؤمنين واصحابه الابرار الاكرمين والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين ورضي الله عنهم اجمعين آمين» .

القسم الأول

من القوانين الفقهية في العبادات وفيها عشرة كتب

الكتاب الاول

في الطهارة وفيها مقدمة وعشرة ابواب

المقدمة وفيها مسالتان :

(المسألة الاولى) في انواع الطهارة : الطهارة في الشرع معنوية وحسية فالمعنوية طهارة الجوارح والقلب من دنس الذنوب . والحسية هي الفقهية التي تراد للصلاة وهي على نوعين : طهارة حدث ، وطهارة خبث ، فطهارة الحدث ثلاث : كبرى وهي الغسل وصغرى وهي الوضوء . وبدل منهما عند تعذرهما وهو التيمم . وطهارة الخبث ثلاث : غسل ، ومسح ، ونضح . (المسألة الثانية) في شروط وجوب الطهارة وانما تجب الطهارة على من وجبت عليه الصلاة وذلك بعشرة شروط : (الاول) الاسلام وقيل بلوغ الدعوة فعلى الاول لا تجب على الكافر وعلى الثاني تجب عليه وذلك مبني على الخلاف في مخاطبة الكفار بالفروع ولا تصح الصلاة من كافر بإجماع واذا أسلم المرتد لم يلزمه قضاء ما فاته من الصلوات في ردته خلافا للشافعي (الثاني) العقل ، فلا تجب على المجنون والمغمى عليه الا اذا افاق في بقية الوقت بخلاف السكران فانها لا تسقط عنه (الثالث) البلوغ ، وعلاماته خمس : الاحتلام ، والانبات ، والحيض ، والحمل ، وبلوغ السن وهو خمسة عشر عاما ، وقيل سبعة عشر عاما . فلا تجب على الصبي ويؤمر بها لسبع ويضرب عليها لعشر . وان صلى ثم بلغ في بقية الوقت او في اثناء الصلاة لزمته الاعادة خلافا للشافعي (الرابع) ارتفاع دم الحيض والنفاس (الخامس) دخول

الوقت (السادس) عدم النوم (السابع) عدم النسيان (الثامن) عدم الاكراه ويقضي النائم والناسي والمكره اجماعا (التاسع) وجود الماء او الصعيد فمن عدمهما فاختلف هل يصلي ام لا وهل يقضي ام لا (العاشر) القدرة على الفعل بقدر الامكان .

الباب الاول

في الوضوء وفيه اربعة فصول

(الفصل الاول) في انواع الوضوء ـ وهو على خمسة انواع : واجب ، ومستحب ، وسنة ، ومباح ، وممنوع . ولا يصلي الا بالواجب وهو الوضوء لصلاة الفرض والتطوع وسجود القرآن بإجماع ولصلاة الجنازة عند الجمهور ولمس المصحف خلافا للظاهرية وللطواف خلافا لابي حنيفة فمن توضأ لشيء من هذه الاشياء جاز له فعل جميعها. واما السنة فوضوء الجنب للنوم واوجبه ابن حبيب والظاهرية . واما المستحب فالوضوء لكل صلاة عند الجمهور خلافا لمن اوجبه . ووضوء المستحاضة وصاحب السلس لكل صلاة خلافا لهم في وجوبه . والوضوء للقربات كالتلاوة والذكر والدعاء والعلم وللمخاوف كركوب البحر والدخول على السلطان والقوم . واما المباح فللتنظيف والتبرد . واما الممنوع فالتجديد قبل ان تقع به عبادة .

(الفصل الثاني) في فرائض الوضوء وهي ستة : النية . وغسل الوجه . وغسل اليدين ، ومسح الراس ، وغسل الرجلين . والفور . فاما النية فهي القصد وتجب في كل قربة بأربعة أوصاف وهي أن تكون فعلا لا تركا سوى الصيام ، وان تكون من حقوق الله تعالى تحرزا من أداء الديون وشبهه ، وان تكون فيما يفعله المرء بنفسه تحرزا من غسل الميت ومن يوضىء غيره ، وان تكون معقولة المعنى فلهذا لا تجب في ازالة النجاسة بإجماع وتجب في التيمم عند الاربعة وتجب في الوضوء والغسل عند الإمامين خلافا لابي حنيفة .

(فرعان) : (الاول) ينوي المتطهر اداء الفرض او رفع حكم الحدث او استباحة ما تجب الطهارة له سواء أطلق او عين (الثاني) محل النية في اول الطهارة وقيل في اول فروضها وفاقا للشافعي وقيل يستصحب ذكرها من اول الطهارة الى اول فرض فان تأخرت عن محلها او تقدمت بكثير بطلت وان تقدمت بيسير فقولان . ولا يشترط بقاؤها ذكرا بل حكما وفي تأثير رفضها قولان واما الوجه فحده طولا من اول منابت شعر الراس المعتاد الى آخر الذقن فلا يدخل الصلع ولا النزعتان وحده عرضا من الاذن الى الاذن وفاقا للشافعي وقيل من العذار الى العذار وقيل بالاول في نقي الخد وبالثاني في الملتحي وانفرد القاضي عبد الوهاب بقوله ما بين الصدغ والاذن سنة ، ويجب تخليل ما على الوجه من شعر خفيف واختلف في الكثيف ويجب إمرار اليد على اللحية وفي وجوب تخليلها قولان . واما اليدان فمن اطراف الاصابع الى المرفقين ويجب غسل المرفقين والكعبين على المشهور وفاقا

لهم وفي تخليل أصابع اليدين والرجلين قولان : الوجوب ، والندب ، وفي إجالة الخاتم ثلاثة اقوال يفرق في الثالثة فيجال الضيق دون الواسع وبه قال ابن حنبل. واما الراس فيجب مسح جميعه وحده من اول منابت الشعر فوق الجبهة الى آخرها في القفا خلافا لابن مسلمة في قوله يجزي مسح الثلثين ولابي الفرج في الثلث ولابي حنيفة في الربع وللشافعي بشعرة ولا يمسح على حائل خلافا لابن حنبل ولا فضيلة في تكرار المسح خلافا للشافعي . والاختيار في صفة المسح ان يبدأ من مقدم الراس ويمر الى مؤخره ثم يرجع الى حيث بدأ والرجوع سنّة ويجب مسح ما طال من الشعر في المشهور . واما الرجلان فالفرض غسلهما الى الكعبين عند الجمهور . وقال الطبري يمسحان ، والكعبان هما اللذان في جانبي الساق ففي كل رجل كعبان وقيل اللذان عند معقد الشراك ففي كل رجل كعب. واما الفور فواجب مع الذكر والقدرة في المشهور وعلى ذلك ان فرق ناسيا او عاجزا بنى او عامدا ابتدأ وقيل هو سنّة واسقطه الشافعي وابو حنيفة .

(الفصل الثالث) في سننه وهي ست : غسل اليدين قبل ادخالهما في الإناء ، والمضمضة والاستنشاق ، والاستنثار ، ومسح الاذنين ، والترتيب . فأما غسل اليدين قبل ادخالهما الاناء فمسنون عند الثلاثة لكل متوضىء او مغتسل طاهر اليدين من النجاسة واوجبه الظاهرية عند القيام من النوم وابن حنبل من نوم الليل خاصة وهل غسلهما للتعبد او للنظافة في ذلك قولان يبنى عليهما فرعان وهما هل يغسلهما مجموعتين او متفرقتين وهل يعيد غسلهما اذا أحدث في اثناء الطهارة اولا وفي كل واحد منهما قولان . واما المضمضة فسنّة في الوضوء عند الاربعة . واما الاستنشاق والاستنثار فسنتان عند الثلاثة في الوضوء واوجبهما ابن حنبل . وصفة المضمضة ان يخضخض الماء في فمه ثم يمجه ، وصفة الاستنشاق ان يجذب الماء بخياشيمه ويستحب له المبالغة فيه الا في الصوم وسنّة الاستنثار ان يجعل ابهامه وسبابته على انفه ثم ينثر بريح الانف ويجوز ان يتمضمض ويستنشق من غرفة واحدة او من غرفتين فاكثر . واما الاذنان فتمسحان عند الاربعة وقال قوم تغسلان مع الوجه ، ومسحهما سنّة عند الإمامين ، واوجبه ابو حنيفة ويجدد الماء لهما خلافا لابي حنيفة . واما الترتيب فسنّة في المشهور وفاقا لابي حنيفة وقيل واجب وفاقا للشافعي .

(الفصل الرابع) في فضائل الوضوء ومكروهاته ـ اما فضائله فست (الاولى) السواك قيل واوجبه الظاهرية والعود الاخضر احسن الا للصائم فان لم يجد عودا استاك بإصبعه (الثانية) التسمية في أوله وقيل بانكارها واوجبها قوم خلافا للاربعة (الثالثة) تكرار المغسولات مرتين او ثلاثا والثلاث افضل (الرابعة) الابتداء بالميامن قبل المياسر (الخامسة) الابتداء بمقدم الراس (السادسة) ذكر الله في اثناء الوضوء وان يقول في آخره أشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين وزاد الشافعي مسح الرقبة ، واما جعل الإناء على اليمين